

## رقان في الذاكرة

الكاتب : رضا محافضي.

المصدر: (الحوار المتمدن) العدد 1282 في 2005/08/10

لا يمر شهر أوت من كل سنة في الجزائر دون أن يثير في الذاكرة الجماعية الجزائرية الأشجان و دون أن يحيي في ضمائر الجزائريين الجراح و يقلب عليهم المواجه . ففي بداية هذا الشهر يتذكر العالم بألم عميق القنبلتين النوويتين اللتين رمت بهما الولايات المتحدة الأمريكية على مدينتي هيروشيما و ناغازاكي باليابان سنة 1945 م ، و تتذكر الجزائر بهذه المناسبة التجارب النووية التي قامت بها السلطات الفرنسية في الصحراء الجزائرية و في مدينة " رقان " على وجه الخصوص .

فقد قامت فرنسا في يوم 13 فبراير من سنة 1960 م بتفجير قنبلة نووية بالقرب من رقان يقال أنها تعادل في قوتها ثلاث مرات قوة القنبلة النووية التي رمى بها الأمريكان على مدينة هيروشيما . و قد أتت العملية بعمليات أخرى في الصحراء الجزائرية سواء كانت تجارب داخل باطن الأرض أو خارجها معرضة بذلك حياة و صحة كل مخلوق في الصحراء إلى خطر أكيد . صحيح أن التجارب المذكورة لا تتطابق في تاريخها مع تاريخ القاء القنبلتين على هيروشيما و ناغازاكي الا أن النفات العالم إليها كل سنة في شهر أوت يحيي في نفوس الجزائريين جرح ما عانوه من استغلال فرنسا للأرض الجزائرية لاجراء تجاربها النووية .

ذكر انه عندما كنت متواجدا بالصحراء الجزائرية في خلال أدائي لمهامي الوظيفية سنة 1998 م التقيت بوالد أحد الأصدقاء الذين اعرفهم و الذي يقطن بإقليم توات الذي يضم إداريا مدينة " رقان " و ما جاورها و بالضبط في قرية صغيرة بالقرب من " زاوية كنتة " تدعى " تيوريرين " . و قد روى لي هذا الشخص (الذي وافته المنية بعد لقائنا بسنوات قليلة) بعض ما عاين و بعض ما يعرف حول موضوع التجارب النووية الفرنسية بالصحراء الجزائرية و هو الذي كان - لسوء حظه - معرضا بصفة مباشرة لخطر تلك التجارب .

لقد أخبرني أن السلطات العسكرية الفرنسية أعلمتهم آنذاك أن حدثا كبيرا سيقع في تاريخ معين حددته لهم و أنه يتوجب عليهم فور سماعهم لدوي انفجار قوي أن يجثموا على الأرض و أن يضعوا رؤوسهم في التراب و أن لا يعودوا إلى حالهم الذي كانوا عليه إلا بعد عودة الأمور إلى طبيعتها الأولى و زوال صوت الانفجار و ما يتبعه من آثار . كما أن السلطات العسكرية أعطت كل شخص يقطن هناك قلادة بسيطة مع كل واحدة منها قطعة معدنية صغيرة بها رقم تسلسلي يقابل هوية الشخص الذي يحملها وفق ما كان قد تم تقييده - قبل توزيع القلادات - في سجلات خاصة تحضيرا لعملية الانفجار . و الهدف من وراء ذلك واضح وضوح الشمس في وضوح النهار كما يقال ، و هو أن يتم التعرف إلى الجثث في حال تشوهها من جراء الانفجار و لمعاينة الخبراء نتائج الانفجار على أجساد أشخاص تم اختيارهم ليكونوا موضوع تجارب من طرف بلد تدعى سلطاته زورا و الى غاية اليوم أنها كانت ترمي الى جلب الحضارة للبلاد التي احتلتها شرق الكرة الأرضية و غربها . و قد قبل الناس آنذاك الموضوع كما طرح عليهم و أحاطوا رقابهم بالقلائد الفرنسية في سذاجة و بساطة بدو الصحراء الذين تعمدت فرنسا محاصرتهم بالجهل و الحرمان و لم يكن يخطر ببالهم - بطبيعة الحال - انهم يواجهون خطرا حقيقيا ، و لم يكونوا يعرفون حتى معنى عبارة قنبلة نووية . كما يروي لي والد صديقي أن الأرض التي وقع بها الانفجار أجدبت و لم تنبت و لا عشبة واحدة منذ ذلك الوقت و أن الحيوانات ماتت جميعها . كما أن الناس هناك - ممن بقي حيا - لاحظوا بعد العملية غرائب في ولاداتهم الجديدة و أمراضا حصدت أرواحا عديدة على مرأى منهم دون ان يعرفوا لها تفسيرا واضحا ، و لم يعرف اولئك المساكين البسطاء أن الأمر برمته نتيجة مباشرة للانفجار الذي اختارت فرنسا أن تكون أرضهم مأواه و أن يكونوا هم كباش فدائه . و لم يسلم من تلك الفاجعة - حسب نفس الراوي - الجنود الفرنسيون ذاتهم (أو البعض منهم على أقل تقدير) . ذلك انه عندما اقتربت ساعة الحسم و دنا موعد الانفجار عرفت الوحدات العسكرية المتواجدة بالمنطقة المعنية غيايا مفاجئا لكل القيادات و الإطارات العسكرية من المنطقة و لم يبق هناك سوى الجنود البسطاء الذين لم يحاطوا علما بما يتم التحضير له و لم يكونوا يدركون كنه ما يدور حولهم من حركة .

و من عجيب الصدف أن تقوم فرنسا في شهر فبراير من سنة 1960 م بتفجير قنبلة نووية بالصحراء الجزائرية جالبة بذلك الدمار و الهلاك للبشر و الحيوان و النبات و الأرض و كذا لأجيال أتت بعد الانفجار ، ثم تأتي في نفس الشهر من سنة 2005 م لتسن قانونا تمجد فيه ما قامت به في مستعمراتها السابقة . و لا ندري هنا كيف لفرنسا أن تمجد ما قامت به من تجارب نووية في الصحراء الجزائرية و كيف لها أن تجد ما من شأنه أن يقنعنا بإيجابية تلك التجارب . كما لا ندري كيف سيكون رد السلطات الفرنسية الحالية على الدعاوى القضائية المرفوعة على مستوى المحاكم الفرنسية من طرف ضحايا تلك التجارب من الجزائريين و الفرنسيين على حد سواء و ماذا في جعلتها لتخرجه لأناس فقدوا أحياءهم (أبناء و آباء و غيرهم) من جراء تلك التجارب.